

# اللغة العربية وآدابها

بين

الإنسانية والعالمية

د. على احمد العرنسي

أدبنا العربي أدب عالمي رائد وذلك لانهامه الإنسانى . وتفوق اللغة العربية ، التى حملته فى أمانة وصدق ، عبر الأجيال فهى من اللغات العالمية الواسعة الانتشار ، وليست لغة قومية ضيقة ، وإنما هى فى طبيعة تكوينها لغة إنسانية ، اكتسبت خلال العصور . المقدرة على أن تكون أداة اتصال بين الإنسان وأخيه الإنسان ووسيلة قوية لنشر روح الإنسانية بين الناس .

فهى لغة الدين حيث يقطن المسلمون على ظهر الأرض .

وهى لغة العرب حيث يقطن العرب من الخليج شرقا ... إلى المحيط غربا ...

انتقلت من قلب الجزيرة العربية ، تحمل السمات الإنسانية فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ... لتتكون لغة الشام والعراق . ومصر ، والسودان وليبيا وتونس والجزائر ، والمغرب ثم هبرت جبل طارق حيث الأندلس قديما فتكاثرت لغة الحديث والعلم والأدب أكثر من ثمانية قرون ، ولغة إقليم ( صقلية ) جنوب إيطاليا أكثر من أربعة قرون ، ولغة الدولة الفزنوية فى الهند وأفغانستان والدولة السامانية ، فيما وراء النهر أكثر من ثلاثة قرون من الزمان لغة الحديث والعلم والثقافة .

فقد حفظ لها الدين الإسلامى البقاء والنخود ، رغم تقلص ظلها فى الأندلس وما وراء النهر ؛ وصقلية ، والهند . وأفغانستان كلفة حديث وتخطب ... .. وبقية لغة التعمد والديانة الإسلامية لمن دان من أهلها بالإسلام .

وارتباط ( الخط العربى ) بالدين الإسلامى جعل كثيرا من الأمم التى تدين بالإسلام تتخذ الخط العربى وحروف الهجاء العربية فى كتابتها .

كالمحدثين باللغة الحبشية فى ( هرر ) من المسلمين فإنهم يكتبون الحبشية بالخط العربى (١) .

وقد ظهر تأثيرها فى كثير من لغات العالم .. فعلى سبيل المثال فلكمة ( الموز ) عرفها العرب فى الأندلس . فأطلقوا عليها اسم ( البنان ) أى الأصبع . فأطلق عليها هذا الاسم فى كل اللغات الأوروبية .

وقد أخذت بعض اللغات الشرقية من العربية كثيرا من الألفاظ ، بيد أنها لم تستطع النطق بالحروف العربية ، التى ليست فى لغتها فالفرس لم ينطقوا بهذه الحروف ( ث ح ص ض ظ ع ق ) .. والترك نطقوا من هذه ( ق ) لأنها بين ( العين والضاد )

والحقيقة أن الفيصل فى قيمة اللغة العربية هو (تراثها) وما تحمله من حضارة وعلم ؛ فقد أقبلت الأمم قديما . على تعلم اللغة العربية ، لما حوت من علم وفن . فدرست العلوم والمعارف العربية . فى جامعات أوروبا .. حقا طويلة الأمر الذى حدا بالدول الكبرى .. كبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتى لأن تبنى الجمعيات الآسيوية فى عواصمها ومدنها الكبرى . كالجمعية الآسيوية بلندن ١٧٢٣ م .. والجمعية الآسيوية بباريس ١٨٢٠ م ... وكذا معاهد

اللغات الشرقية وقد تناثرت على رقعة واسعة من الأرض فظهرت في رومة وصقلية ، ومدريد ، وموسكو ، وطشقند بالاتحاد السوفيتي ، وتقيم المؤتمرات العالمية ... فيظهر عامل الاستشراق ... ويعترف كثير من المستشرقين بأثر اللغة العربية المباشر ، وغير المباشر في ثقافة العالم ... يقول اسكندر فون هوميلد ( إن العرب قد نشروا مع دينهم لغتهم المثقلة بتراث خالد من الشعر ... لم تبل جدته ، ولم تنزع أصوله ) (١)

ويقول : ليبرى ( صان العرب نهضة الادب في أوروبا مدة طويلة ) وقد أخذت عنها ( اللغة الالمانية ) الإعراب ، وهو تغيير آخر الكلمة ، باختلاف العوامل الداخلة عليها ( - الرفع - - النصب - - الجر - - السكون ) وكما تأثرت الالمانية بالإعراب . تأثرت اللغة الحبشية أيضا بالإعراب يساعد على تفهم المعنى ؛ والتمييز بين الاساليب .

وقد أثبت التاريخ فوق اللغة العربية ، وتقدمها . وتأثيرها في الحضارة العالمية .

فقد كانت الاندلس . حاضرة أوروبا ... يفد إليها أبنائها ، لينهلوا من موارد علمها . ورحيق آدابها .

حتى بعد سقوطها في أيدي الفرنجة ... فقد عاشت أوروبا على زادها لما خلفت من تراث لا يبلى ، ولا يزال زادا لاسبانيا حتى الآن .

والدليل على ذلك ... ان السلطان ( يعقوب المريني ) (٢) حاكم المغرب

---

(١) ص ٩٠ فصول مقارنة بين أدبي الشرق والغرب ... د . جمال الدين الرمادى .

(٢) تاريخ الجزائر ٧١/٢ والنبوغ المغربي ١/١٨٦

قد اشترط على ملك أسبانيا ( شانسو الرابع ) في معاهدة الصلح التي عقدها معه أن يعيد إليه جميع المخطوطات العربية ؛ التي حازها أيام استيلائه على ( قرطبة ) و ( اشبيلية ) ... فبعث إليه ( شانسو ) ثلاثة عشر حملاً من الكتب . وزعمها السلطان يعقوب على خزائن المغرب ... ومع ذلك فقد بقي الكثير ... فلا زالت مكتبة ( سكوريال ) في أسبانيا تعج بالمخطوطات العربية والمؤلفات في شتى أنواع المعرفة .

فقد عثر في وقت قريب ... المستشرق البرفسور ( بال كاولي ) (١) على مسرحيات عن أصل عربي ( لمحمد بن دانيال الموصلی ) في عصر الظاهر بيبرس في القرن الثالث عشر الميلادي .

وقد ذكر المستشرقون ( جورج جاكوب ) محتويات هذه التمثيليات في كتابه ( تاريخ مسرح تمثيل الظل ) ...

إن الثقافة العربية ... كانت واسعة العطاء فللمكتبة الحديثة في التنظيم ، والتنسيق ، والتبويب ... والإشراف ، استولت على إعجاب المؤرخ ( عبد الرحمن الجبرتي ) حين رأى هذه المكتبة أثناء الحملة الفرنسية على مصر عام ١٨٩٧م — ١٢١٣هـ وقد وصفها معجباً بها ... فقال : —

( فيها جملة كبيرة من كتبهم ، وعليها خزان وهباشرون ، يحفظونها ويحضرونها للطلبة ، فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها فيحضرها له الخازن ، فيتصفحون ، ويراجعون ، ويكتبون حتى أسافلهم من العسكر ) (٢) .

إن ما أعجب به عبد الرحمن الجبرتي في العصر الحديث ... وفي مطلع

---

(١) ص ١٠٥ ظاهره التأثير والتأثر في الأدب العربي د . علي العربي

(٢) ص ٢٤ ج ٣ عجائب الآثار عبد الرحمن الجبرتي .

النهضة ... هو ما كان معمولاً به في المكتبة العربية القديمة ( مكتبة القرويين ) فقد جاء ما يثبت ذلك ...

( أنشأ السلطان أبو عنان — خزانة القرويين ، وأودعها الكثير من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأبدان ، والأديان ، واللسان والأذهان وغير ذلك من العلوم - على اختلاف وتنوع ضروبها وأجناسها ، ووقفها ابتغاء الزلفى ... ورجاء ثواب الله الأوفى وعين لها قيما لضبطها ، ومناولة ما فيها، وتوصيلها لمن له رغبة ، وأجرى له على ذلك جراية مؤبدة ، تكرمه وعناية ، وذلك في جمادى الأولى سنة ٥٧٥هـ (١) .

ولم تكن مشاركة المرأة في الآداب والعلوم بدءاً في الحياة ... وإنما هو جو من الجهالة ساد ثم زال ... ولم تكن يد النهضة الأوروبية على العرب بل يد العرب على النهضة الأوروبية ...

فقد شاركت في العلم والآداب كثير من النساء ذات الطول في العلم والمعرفة فقد حُزب المثل ... يولادة بنت المستكفي في الشعر والآداب ... في الأندلس وبعد غروب الأندلس ، فقد تصدت للدرس العاملة الأدبية ... خديجة بنت سخنون ... التي كانت تدرس في حلقة جامع القيروان ، وأبوها يدرس في أخرى .

ومهدية بنت الحسن بن غليون. التي أتقنت العربية ، ونبغت في القريض ومن شعرها في الحنين إلى أخيها الذي ارتحل إلى الشرق ، وطالت غيبته .

ليت شعري ما الذي عانيته بعد طول الصوم مع نفى الوسن (٢)  
مع غروب النفس عن أوطانها والتخلي عن حبيب وسكن

(١) عجائب الأناضول للجبرتي ٣ (٢٤)

(٢) ص ٤٤ النقد الأدبي في المغرب العربي د. عبده عبد العزيز قلمقيلة .

يا شقيقا ليس في وجدى به علة تمنعني من أن أجن  
وكما تبلى وجوه في الثرى فكذا يبلى عليهن الحزن

فلا غرابة إذا فتحت جامعة الأزهر ، والجامعات الإسلامية في الوطن  
العربي ... أبوابها للمرأة ... بعد أن ظلت موصدة ، فترة من الزمن ...  
فأعادت المرأة مجدها العلمي والأدبي ...

إن اللغة العربية حملت السمات الحضارية للعالم ... وذلك لغناها بمفرداتها  
وأساليبها ... وتفرعاتها ...

فمن غناها بالمفردات أنها جعلت لجزئيات النهار أسماء لا توجد في أكثر  
اللغات الحية :

فالساعة الأولى ...	...	الذرور
ثم ...	...	البروغ
ثم ...	...	الضحى
ثم ...	...	الغزاة
ثم ...	...	الهاجرة
ثم ...	...	الزوال
ثم ...	...	العصر
ثم ...	...	الاصيل
ثم ...	...	الصبوب
ثم ...	...	الحدود
ثم ...	...	الغروب

ومن تصرفاتها للأفعال ...

كتفزع ( الفعل — نظر ) ... فيؤدى باللفظ ...

( رملق - مللح - الللحج - الللوصلح - رلنا - الللستلشف ) وكلها بملعنى  
نظر وبلرزلت قلالرللها فى ( اللللاجلال - والللاعللال ) ...  
والتفوق فى ( الللللرادلقات والللاضلال ... ) ...  
فضلال عن ذلك فلها ... الللاوة اللللاقلع ...  
... .. وجمال النغم بلن الللافال  
... .. ورساللة الللرلس

نلمس ذلك فى وائلعها الللعاصر ... فللس بللخال على الللألل ... أن الللحالسة  
لعلرف بالللافال الللجللة ، اللللووية ، اللللى للب كاللعاصلفة ، ولمان أوالل الللزلد ...  
فلعلله بالللاطلاع على ألوان الللوسىقى اللللى لللماها القلصللدة الللربلبة ... عنلل لقال  
الللو ... فى الللألل الللرلب القللللم واللللللل كما أن الللزل يعرف بالللوسىقى  
ذال الللنللم اللللاس ... وىلللل ذلك للللل فى الللنا الللعاصر . اللللى لللل  
طابلع الللزل اللللف .

لذا سار الللالم على ضوئها عدة قرون ، للما اللللت من فن ، وألل ،  
والمعارف الللعدة ...

كانل ولا للزال زالل الللأنسان فى الللمكان ... فللل عللى الللنا الللرلب  
الللأالل اللللملة ... من الللأناللته ...

فللل الللرلم الللرلب ( الللأناللته ) وكرموها فى الللشلل الللأنسان ، فللرلوا  
له الللقوقه ...

هله الللقوق اللللللال بها الللشرىبة الللإسلاملة ، اللللى لعلرف بالللحبله والمساواة  
... وللحماله الللرلل ، من الللجور ، والللسف ، والللاسللال وقلل لللللله هله  
الللل ... من نلرلس الللرلب ... فلعاشوا بها ولها وطبلقوها فى الللألل منلل  
فللر الللارلخ .

فرأينا أبناء الديانات الأخرى ، يسهمون في بناء الحضارة العربية لإسهم  
العرب أنفسهم .

فقد حمل الأدب هذه الرسالة، عبر القصور ، تحذوه الآية الكريمة ( ولقد  
كرمنا بنى آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم  
على كثير ممن خلقنا تفضيلاً (١) ) .

والآية الكريمة :

( وجعلناكم شعوباً ، وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ،  
إن الله عليم خبير (٢) ) .

فروح الأمة ثابرة في لسانها .

وفي أساليب تعبيرها ، وتصويرها .

وماسجلته من أقوال ، وآثار أدبية في الشعر ، والنثر ، والحكم ، والعظات  
وما جاء به القرآن الكريم ... هو أعلى ذروة البيان العربي ... حيث الإعجاز  
الذي لا يبارى .

ولهذا كان من اليسير على من يبحث ذلك في اللغة العربية ، وآدابها أن  
يدرك كثيراً من مظاهر الارتباط بين المنازع الإنسانية لحضارة العرب ،  
ومنازع لغتهم في التصوير ... والتعبير ...

ومن هذا المنطلق قرر ( المستشرق ماسينيون ) .

( بأن البعث الدولي للغة العربية ، عامل أساسي في إشاعة السلام  
بين الأمم ) ...

---

(١) الآية ٧٠ سورة الإسراء .

(٢) الآية ١٣ سورة الحجرات .



وفي الأخذ برأى هذا المستشرق قضاء على الحروب والدمار ، وعلى الجوع  
الذى يفتك الآن بأطفال الدول النامية في العالم الثالث ... وعلى البطالة التي  
أخذت تزحف نحو بعض دول أوروبا ...

إنها اللغة العربية ... لغة الحضارة ... التي تشهد خير الإنسان في كل  
مكان والأدب العربي ... ذو السمات الحضارية ...

فحق لحافظ أن يقول :

أنا البحر في أحشائه الدر كامن  
فهل ساءلوا الغواص عن صدقاتي

وحق لقسطاكي الحمصي أن يقول :

حروفها لمعان لا تطاولها  
في حسنها بنت يونان ورومان

بقلم

د. علي أحمد العريفي